

لقاء شارون أبو مازن: السلطة تسكت على الفشل والإهانة



أخطأ أبو مازن رئيس السلطة الفلسطينية في اللقاء الذي جمعه بشارون يوم الثلاثاء ٢١/٦/٢٠٠٥ ثلاث مرات، الأولى حين قبل لقاء رئيس الوزراء الصهيوني الذي رفض الاجتماع بأبو مازن أكثر من مرة، الثانية حين سكت أبو مازن عن كل الإهانات التي وجهها له شارون، والثالثة حين كان أبو مازن يستجدي شارون ليعطيه بعض المكاسب. أبو مازن مثل كل زعماء السلطة الفلسطينية موغل في التفاوض إلى العمق، ومنتهج للتسوية حتى النخاع. لكن أن يتحول الأداء السياسي الفلسطيني الرسمي إلى هذا المنحدر، وأن تكون سياسة السلطة بمثل هذا المستوى فهنا تكون الكارثة.

يدرك أبو مازن أن اجتماعه بشارون لم يكن عن قناعة من الأخير. فرئيس وزراء العدو قبل بالاجتماع برئيس السلطة الفلسطينية بناء على مصلحة أمريكية وتدخل أمريكي، وهو من ثمار قمتي أبو (مازن - بوش) و(شارون - بوش) في شهري نيسان/أبريل وأيار/مايو الماضيين في واشنطن.

وصل شارون إلى الاجتماع وهو يمتلك عدداً من وسائل القوة. فشارون حصل من بوش على التزامات تتعلق برفض الدولة الفلسطينية حالياً وبعد البدء في مفاوضات مع الفلسطينيين حول قضايا الحل النهائي، وبدعوة مباشرة لوقف إجراء الانتخابات التشريعية. أما أبو مازن فلم يحصل من بوش على أي مكسب سوى إصرار بوش على تحييد قوى المقاومة وعزلها، إن تعذر على السلطة جمع أسلحتها. وهذا ما دفع شارون إلى اغتنام هذه الفرصة، فشنّ هجمة واسعة ضد أبو مازن والسلطة، واستخدم شارون كل أسلحته استعداداً للقاء محمود عباس، فأصدرت قيادة الجيش الإسرائيلي عدة بيانات عن هجمات نفذت ضد الفلسطينيين وواصل العدو مهاجمة المجموعات المقاومة، واعتقل العدو المئات، واستهدفت حركة الجهاد الإسلامي بهجمة صهيونية متواصلة، وأعدّ شارون المسرح كاملاً موحياً بأنه في وارد تطويق السلطة.

لذلك جاء الاجتماع بين الرجلين في جو مأزوم وفي مصالح متناقضة: شارون يريد وقف التهديدات ويطلب من السلطة ملاحقة المقاومين واعتقالهم، وأبو مازن

يستهدف قطاع غزة ويقتل المدنيين إذا تعرّض الإسرائيليون المنسحبون من القطاع لإطلاق نار. شارون ظهر في مظهر القوي المهدد، وأبو مازن ظهر في مظهر المستجدي الضعيف. التوازن والتكافؤ لم يكونا موجودين، لكن حالة الضعف التي تعيشها السلطة لا تبرّر هذه الطريقة في محاوره الإسرائيلي.

خسارة اللقاء مع شارون يضاف إلى خسارات أخرى تكبدها أبو مازن مؤخراً. فالسلطة الفلسطينية تعيش أوضاعاً مضطربة، والانتهاكات الأمنية تعصف بها والانتخابات تتأجل والتهديدات تترنح، والانسحاب الإسرائيلي من غزة مؤجل، ومنازل المستوطنين ستهدم وفق ما أفادت كوندوليزا رايس، والمساعدات الاقتصادية للفلسطينيين ضعيفة.

أبو مازن حتى اليوم فشل في أكثر من اتجاه، المهم أن لا يفضل مستقبلاً في إعلان موقف فلسطيني مشترك يردّ به على التهديدات الإسرائيلية باستئناف الاغتيالات، وهو ما يحتم مواجهة جديدة يتوقعها الفلسطينيون في كل لحظة.

لعلّ أبو مازن يدرك أن مشكلته هي مع الإسرائيلي لا مع الفلسطينيين، وأن الحل بتكاتف وتضامن داخلي. ■

يريد من شارون مطالب «صغيرة» هدية له وتشجيعاً من الحكومة الإسرائيلية على كل الخطوات التي اتخذها: إطلاق سراح عدد من قدامى المعتقلين، تسهيل التحركات على المعابر، إزالة بعض الحواجز ونقل المسؤولية الأمنية إلى الفلسطينيين. طبعاً رفض شارون كل هذه الطلبات، وربط أي تجاوب بجمع أسلحة الفصائل.

لم يكن أحد يتوقع النجاح للقاء، لكن ما جرى في الاجتماع كشف عن عمق الفجوة بين الجانبين وعن إصرار إسرائيلي على وجود سلطة تابعة تنفذ كل مصالحها بدقة. لذلك «لحست» (إسرائيل) كل الآمال والوعود التي أطلقتها لأبو مازن في وقت سابق، وهي الآن تدفعه دفعاً نحو خيارين، إما جمع أسلحة الفصائل وإما مواجهة العزل كما جرى مع ياسر عرفات.

قد يكون من حقّ أبو مازن أن «يلعب» إهانات شارون، لكن ليس من حقّه التصرف في النواحي السياسية كما يشاء. فاللقاء مع شارون أظهر استعداداً إسرائيلياً للانسحاب من قطاع غزة، لكن ذلك بحاجة إلى وعد فلسطيني بحفظ الأمن الإسرائيلي أثناء الانسحاب وبعده. المهم أن أبو مازن لم يجد ما يرد به على التهديدات الإسرائيلية بقصف عنيف وشديد ومدمر